

ترامب قالَ كَلِمَاتَهُ النِّهَائِيَّةَ: سَدَدَمَ الأَمِيرَ بنَ سَلْمَانَ حَتَّى لَوْ كَانَ عَلَى عِلْمٍ مُسَبِّقٍ بِاغْتِيَالِ الخَاشِقِجِيِّ.. هَلْ كَانَ هَذَا المَوْقِفُ مُفَاجِئًا؟



ولِمَاذَا رَبَطَ فِي مُؤْتَمَرِهِ الصِّحَافِيِّ بَيْنَ المَصَالِحِ الأَمْرِيكِيَّةِ والإِسْرَائِيلِيَّةِ وَبِقَاءِ وَليِّ العَهْدِ السُّعُودِيِّ؟ وَكَيْفَ سَتَكُونُ "طَابِعَةَ" المُوَاجَهَةِ الوَشِيكَةِ الَّتِي أَشْعَلَ فَتِيلَهَا مَعَ الكُونْغَرِسِ وَنَتَائِجَهَا؟

عبد الباري عطوان

لَمْ يَكُنْ مُفَاجِئًا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا أَنْ يَكُونَ "المَوْقِفُ النِّهَائِيُّ" لِلرَّئِيسِ الأَمْرِيكِيِّ دُونَالِدِ تَرَامْبِ تَجَاهَ جَرِيْمَةِ اغْتِيَالِ الصِّحَافِيِّ السُّعُودِيِّ جَمَالِ خَاشِقِجِيِّ وَتَقْطِيعِ جُثْمَانِهِ "مُرَاوِعًا" وَ"مَادِمًا"، خَاصَّةً لِكُلِّ الذِّينِ طَالِبُوهُ بِتَحْمِيلِ الأَمِيرِ مُحَمَّدِ بنِ سَلْمَانَ، وَليِّ العَهْدِ السُّعُودِيِّ، المَسْؤُولِيَّةَ المُطْلَاقَةَ، وَفَرَضِ عُقُوبَاتٍ عَلَى المَمْلَكَةِ.

فَمُنْذُ اللَّحْظَةِ الأُولَى كَانَ الرَّئِيسُ تَرَامْبُ يَحَاوِلُ كَسْبَ الوَقْتِ، وَالتَّهَرُّبَ مِنْ اتِّخَاذِ أَيِّ قَرَارٍ حَاسِمٍ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ، فَقَدْ رَفَضَ الاستِمَاعَ إِلَى التَّسْجِيلَاتِ المُرْعِبَةِ الَّتِي حَمَلَتْهَا إِلَيْهِ جِينَا هَاسِبِل، رَئِيسَةُ المُخَابِرَاتِ الأَمْرِيكِيَّةِ، أَوْ القُبُولَ بِالنِّتَائِجِ النِّهَائِيَّةِ الَّتِي تَوَصَّلَتْ إِلَيْهَا وَكَالَةُ الـ"سي آي إيه"، الَّتِي تُؤكِّدُ مَسْؤُولِيَّةَ الأَمِيرِ بنِ سَلْمَانَ عَنِ الجَرِيْمَةِ، وَاسْتَمَرَّ فِي تَوْفِيرِ مِطْلَاقَةِ الحِمَايَةِ لوليِّ العَهْدِ السُّعُودِيِّ وَالدِّفَاعِ عَنْهُ، وَمُحَاوَلَةِ تَبْرِئَتِهِ، تَحْتَ عُنْوَانِ الحِفَاظِ عَلَى العُلاَقَاتِ المُتَمَيِّزَةِ بَيْنَ الرِّيَاضِ وَوَاشِنْطُن، وَعَدَمِ السِّمَاحِ لِجَرِيْمَةِ اغْتِيَالِ الخَاشِقِجِيِّ بِإخْرَاجِهَا عَن مَسَارِهَا.

الرئيس ترامب اعترف في مؤتمره الصحفي الذي عقده اليوم الثلاثاء " بأن الأمير بن سلمان كان على علمٍ مسبقٍ بقتل الخاشقجي لكنه أكد عزمه على مواصلة الشراكة مع المملكة لحماية مصالح بلاده وإسرائيل".

ماذا تعني هذه العبارة، وهي "حماية مصالح وإسرائيل" التي كانت أهم ما ورد في مؤتمره الصحفي المذكور في رأينا، غير أن الأمير بن سلمان ربما عقد صفقة مع الرئيس ترامب وصره جاريد كوشنر لتقديم تنازلات كبرى في الملف الفلسطيني، قد يكون عنوانها الأبرز تأييد "صفقة القرن" التي وضع أفكارها الجوهريّة صديقه كوشنر بتوجيهات من بنيامين نتنياهو مقابل دعم الجانبين الأمريكي والإسرائيلي، واللوبيات السياسيّة والإعلاميّة التي تعمل تحت لوائهما، ووصله إلى عرش المملكة العربيّة السعوديّة خلفاً لوالده الملك سلمان بن عبد العزيز، الذي بنى قصرًا فخمًا له في منطقة "نيوم" شمال المملكة ليقتضي فيه آخر أيامه، حيث تُؤكّد معظم التقارير الإخباريّة استفحال حالته المرضيّة.

قلناها ونذكرها أن الرئيس ترامب لا يفكر إلا في الصفقات، سواء صفقات شركاته، وشركات صهره، أو صفقات الأسلحة التي تبلغ قيمتها 110 مليار دولار، ولم يخف هذه الحقيقة عندما قال في المؤتمر الصحفي نفسه "أن إلغاء أمريكا للعقود الدفاعيّة مع السعوديّة سيُفيد روسيا والصين".

لا نعتقد أن أيّ ملكٍ سعوديٍّ، سواء كان الأمير محمد بن سلمان، أو عمّه أحمد بن عبد العزيز، الذي يتدرد اسمه بقوة كمُرشدٍ للأُسرة الحاكمة لخلافة أخيه الملك سلمان، سيرجو على تحدّي الولايات المتحدة وإلغاء صفقات أسلحة معها، والذّهاب إلى الصين أو روسيا، لأنّ مثل هذه الخطوة ستعني زوالها، أي الأُسرة الحاكمة، ألّم يقبل الرئيس ترامب ويذكر أكثر من مرة أن حكام دول الخليج لن يبقوا أسبوعين في عروشهم بدون الحماية الأمريكيّة؟ ويشدّد على أن السعوديّة بالذات لن تصمد دقائق في مواجهة أيّ هجومٍ إيرانيٍّ؟

الرئيس ترامب مُصمّمٌ، وبتحريضٍ من صهره كوشنر ونتنياهو على السّير على الذّهب نفسه فيما يتعلّق بالشراكة مع السعوديّة، وحماية الأمير بن سلمان، حتّى لو أدّى هذا الأمر إلى الصدام مع الكونغرس الأمريكيّ بشقّيه الجمهوريّ والديمقراطيّ، وشدّد على ذلك صراحةً عندما قال "أن الكونغرس الأمريكيّ >ر> في الذّهاب في اتجاهٍ مختلفٍ بشأن السعوديّة، ولكنه (أي ترامب) سيّدرس فقط الأفكار التي تنسق مع الأمن الأمريكيّ".

أمريكا، وباختصارٍ شديدٍ، تَقِفُ على حافَّةٍ مُواجِهَةٍ شَرِسَةٍ بين الكونغرس والرئيس ترامب، رُبَّمَا يَشْتَعِلُ فَتِيلُهَا فِي الأَيَّامِ القليلةِ القادِمةِ، خاصَّةً في ظلِّ التَّحالفِ القويِّ بين المُشرِّعين والمُحافَّةِ الأمريكيَّةِ بشقِّيها الورقيِّ أو المرئيِّ، وخاصَّةً صَحيفتي "الواشنطن بوست" ومُنافِسَتها "النيويورك تايمز".

مِنَ الصَّعبِ علينا إصدارُ أحكامٍ مُسبِّقةٍ حولِ طَبِيعَةِ هَذِهِ المَعْرَكَةِ والفائِزِ فيها في نِهايَةِ المَطَّافِ، فَمَا زالَتِ الأُمُورُ في بَدَايَاتِهَا، وَلَكِنِ بِالقِياسِ إلى مَعَارِكِ سابِقَةٍ مُماثِلَةٍ لا نَعْتَقِدُ أَنَّ الرِّيسَ الأمريكيَّ قد يَخْرُجُ رابِحًا، ولا نَسْتَدْعِرِبُ أن يكونَ مصيره مِثْلَ مَصيرِ سَلَفِهِ ريتشارد نيكسون، فَنَحْنُ أَمَامَ "فَضِيحَةٍ" جَدِيدَةٍ اسْمُهَا "خاشقجي غيت" باتَتِ مِثْلَ كُرَّةِ الثَّلَجِ تَكْبُرُ وتَكْبُرُ مَعَ مُرُورِ الوَاقْتِ، وتَرْفُضُ الاخْتِفاءَ مِنَ العَنَوايِنِ الإخباريَّةِ الرَّئِسيَّةِ. كَثِيرٌ مِنَ الزُّعَمَاءِ فَقَدُوا عُرُوشَهُمْ بِسَبَبِ أبنائِهِمْ أو أَصهارِهِمْ، خاصَّةً في مِناطِقَتِنَا العَرَبِيَّةِ، ولا نَسْتَبْعِدُ أن يَكُونَ الرِّيسَ ترامبَ الَّذِي تَجَمَّعَ مَعَهُ زُعماءُ عَرَبِ الكَثِيرِ مِنَ القَواصِمِ المُشْتَرِكَةِ، وأَبْرَزُها تَقْدِيمُ الصَّفَقَاتِ على المَبادِئِ وقيَمِ حُقوقِ الإنسانِ.. فَتَشْءَنُ الصَّهْرَ كوشنر.. والأَيَّامُ بِبَينِنا.